

الصقر والضبع

قصة للفتيان

زياد غزال فريجات

بسم الله الرحمن الرحيم

كان هنالك ضبع عجول في كل أمر ، في أكله
وشربه ، وفي جميع أمور حياته .

وفي أحد الأيام رأى ظيباً وكعادته هجم على
الفور دون أن يلاحظ أن الظبي لا يستطيع الحراك ، فإذا
بالضبع وسط كمين تنغرس فيه أبر المخدر ، استيقظ
الضبع وهو في قفص لم يره في حياته و بجانبه قفص آخر
داخلة صقر ، نظر الضبع حوله مستغرباً ثم حدّق بالصقر ،
سأله الصقر : من أي بلد أنت ؟

لم يلتفت الضبع واستمر في النظر حوله مندهشاً .

الصقر : أنت من بيسان ؟

التفت الضبع إلى الصقر

الصقر : أنت أقوى ضبع في فلسطين ، كيف
تمكنوا منك ؟ هذا غريب !!

الضبع: كيف عرفتني ؟

الصقر : أنا من جبال نابلس ، كنت أراك كثيراً
وأنا أحلق في السماء .

الضبع : أين نحن ؟منذ متى وأنت هنا ؟

الصقر : نحن في حديقة تل أبيب ... وأنا هنا
منذ سنتين .

الضبع : سنتان! سوف أخرج من هنا قبل
أن يمر أسبوعان.

وجاء الليل وأصبح المكان خالياً إلا من الضبع
و الصقر ، أخرج الصقر من تحت جناحه قطع صغيرة من
الحديد المسنن وأخذ يسن أسفل القضيب الخلفي للقفص .

الضبع : منذ متى وأنت تفعل هذا ؟

الصقر : من بعد وصولي إلى هنا بشهر ، فبعد شهر من وصولي وجدت هذه الحديدة بجانب القفص فأخذتها وأخفيتها في جناحي و بدأت مشوار خروجي من هذا القفص .

الضبع : و لكن ما تفعله أشبه بالجنون ، هذه الحديدة الصغيرة لن تفعل شيئاً .

الصقر : ولكنها تجعلني أعيش على أمل الخروج واستعادة حريتي.... وأن تعيش بأمل خير من أن تعيش بلا أمل .

سخر الضبع من كلام الصقر وقال بثقة عالية :

*-: و لكني سأريك كيف سأخرج من هنا بأيام و ليس بعشرات السنوات.

وأنهى الصقر عمله المعتاد بأربع ساعات يومياً ثم أخفى أثر السن في القضيبي و هو أثر لا يكاد يُرى ثم بعثر بجناحه ما تساقط من برادة الحديد التي لا تكاد ترى أيضاً،

و في اليوم التالي ، جاء أربعة من عمال الحديقة ليقوموا
بغسل الضبع بالماء والصابون ، اقتربوا منه شيئاً فشيئاً ،
وفي ذلك الحين كان هناك عاملان مستعدان كل منهما
ببندقية الحقن المخدرة ، وفتحوا باب القفص فهجم الضبع
عليهم وجرح أحدهم ، ولكن ما لبث ان أطلق العاملان
حقن المخدر عليه فوقع على الأرض دون حراك ، نظف
العمال الضبع وأعادوه إلى قفصه بعد أن قلموا مخالفه ،
استيقظ الضبع في الليل والتفت إلى الصقر فوجده منهمكاً
في محاولة قص قضيب القفص ، فقال له ساخراً :

*-: أما زلت تعبت بهذه الحديدة ...؟

الصقر : (مبتسماً) لقد كنت شجاعاً كعادتك
و لكنك كنت متسرعاً أيضاً التسرع أضربك ،
انظر إلى مخالفك .

نظر الضبع إلى مخالفه فوجدها قد نرعت ،
أغمض عينيه و مدد جسمه كأنه يريد النوم ، وأخذت
الدموع تسيل من عينيه .

سارت الأيام ومضى على الضبع في قفصه ثلاثة

شهور .

وفي الصباح جاء وقت تنظيفه ، وكالعادة ، قيده وأخرجوه ، وكان الضبع مطيعاً جداً هذه المرة ، وعند إدخاله إلى القفص هجم على من يحمل البندقية وعض يده فوقعت البندقية فهرب الضبع على الفور ولكنه وجد سوراً عالياً لم يستطع أن يتخطاه ، وبدأ يبحث عن ثغرة أو منطقة في السور يستطيع الخروج منها ولكن دون جدوى ، حتى أحس بطلقات المخدر تنغرس في جسمه .

استيقظ الضبع ليلاً وفتح عينيه على الصقر المنغمس كعادته في محاولة قص القضيبي ، أخذ يراقب الصقر دون أن يتلفظ بأي كلمة ، التفت الصقر إليه فوجده مستيقظاً فقال له :

*-: هذه المرة كنت شجاعاً وقويماً ، وهذا معروف عنك ولم تكن متسرعاً وهذا جديد عليك ، ولكنك لم تكن متأنياً بالقدر الكافي ، التأني إذا لم يكن كافياً يضر صاحبه ، تفحص أنيابك .

وجد الضبع أنيابه قد نزعت فصرخ صرخة قوية
ثم وقع على الأرض مغشياً عليه ، مضت الأيام والشهور
والسنوات ، حتى مضى على الضبع أربع سنوات في قفصه
، وفي إحدى الليالي قال الصقر للضبع :

*-: إذا خرجت من قفصك يوماً ، اذهب إلى
بحيرة طبريا وانتظري عندها في الليالي التي يكون فيها
القمر بديراً و إذا خرجت أنا قبلك سأنتظرك بالمثل .

استيقظ الضبع بعد تلك الليلة وفتح عينيه واتجه
نحو الصقر ليحدثه ولكنه لم يجد الصقر ووجد قضيب
القفص مقصوفاً مرمياً على الأرض ، فرح الضبع بانتصار
الصقر وخروجه من قفصه ، ولكنه أحس بالحزن لأنه فقد
صديقاً طيباً وحكيماً .

مضت الأيام و الشهور و بعد ستة شهور من
هروب الصقر أُصيب الضبع بمرض أفعده وأصبح لا
يستطيع المشي إلا بصعوبة ، حاول أطباء الحديقة معالجته

ولكن دون جدوى ، و كان رأي الأطباء أن علاج الضبع يكون برجوعه للطبيعة وإلا سوف يموت ، وأن على القائمين على الحديقة إرجاعه إلى الطبيعة لأن بقاءه فيه ضرر للحديقة أكثر من نفعه ، وفي حال تم شفاؤه فإنهم سيصطادونه مرة أخرى.

و بالفعل تم إرجاع الضبع إلى بيسان ووضعوه في مكان يبعد كثيراً عن بحيرة طبريا ، فأخذ الضبع يمشي ليصل إليها بمعاونة و صعوبة فائقتين بسبب مرضه وسنوات سجنه، و ظل الضبع يناضل حتى وصل إلى بحيرة طبريا ولكن القمر كان هلالاً و يحتاج إلى أيام ليصبح بدرًا ، اخذ الضبع ينظر إلى كل طائر في السماء لعله يجد الصقر ، وبعد عدة أيام استيقظ الضبع فوجد طعاماً شهياً طازجاً أمامه ، ودون تفكير عرف أن الصقر هو من وضع له الطعام فنظر إلى السماء فوجد الصقر يخلق حرًا عزيزاً ، فرح الضبع فرحاً شديداً وصرخ عالياً منادياً الصقر ، وعلى الفور هبط الصقر إلى الضبع وتعانقا و سالت من عيونهما دموع حراء ، أخذ الصقر يرعى الضبع ويساعده ليرجع سيرته الأولى شجاعاً قوياً ، وكان يحضر له الطعام

والعلاج ويدافع عنه اذا تعرض لعدوان ، و مضت الأيام حتى رجع الضبع مثل السابق ذو بأس شديد يهابه الجميع ، وذات يوم بينما كان الصقر يحلق في الجو ، و الضبع ينظر إليه بسعادة ، إذا بالصقر يصاب ويهوي على الأرض ، هجم الصيادون اليهود على الصقر ونزعوا إبرة المخدر وأخذوه ومشوا مغادرين والضبع ينظر إليهم .

أخذ الضبع ينتظر فرصة ليأخذ الصقر دون أن يقع هو أيضا في الأسر ، بدا على الضبع التآني والترووي ، وعندما وصل الصيادون اليهود إلى منطقة مليئة بالأشجار المتشابكة هجم الضبع عليهم وأخذ الصقر و هرب داخل الأشجار ، وخلال لحظات لم يلاحظ له أثر ، استيقظ الصقر من المخدر ، وقص عليه الضبع ما حدث ، فقال الصقر :

*-: في هذه المرة كنت شجاعاً مقداماً كعادتك، و كنت أيضا متأنياً بالقدر الكافي على غير عادتك .

الضبع : أنت من علمني التأني وها أنت تقطف
ثمار ذلك .

الصقر : أن تكون متأنياً لا يكفي ، بل تحتاج أن
تعلم الآخرين التأني حتى تحصد محصول التأني كاملاً .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (التأني من
الله والعجلة من الشيطان) فالتأني لا يأتي إلا بخير ، وكم
يكون الخير عظيماً عندما يأتي بالحرية.

النهاية